

الأربعون العقدية^٤

الحديث الثلاثون

نثر الجمان بفوائد حديث

"إِنَّمَا لِيَكْنَبَانِ"

وكتبه / أيمن إسماعيل

*** بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ***

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ" (آل عمران: ١٠٢)

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (النساء: ١)

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً {٧٠} يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً" (الأحزاب: ٧٠: ٧١)

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.
أما بعد:

* نص حديث الباب :

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

بِغَيْرَيْنِ ، فَقَالَ:

»

إِنَّهُمَا كَالْيَعْدَبَانِ، وَمَا يَعْدَبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا
الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةَ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرِ
وَاحِدَةٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ:

«لَعَلَّهُ يُخَفِّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسُ»

* تخريج الحديث :

أخرجه البخاري(١٣٧٨) في مواضع من صحيحه ، منها في " باب عذاب القبر من الغيبة والبول " ،
ومسلم (٢٩٢) " باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه "

* أهم الفوائد المستقاة من حديث الباب : الفائدة الأولى :

قد دل حديث الباب على إثبات أصل من الأصول التي قال بها أهل السنة ، ونصوا عليها
خلافاً لأهل البدع ، وهي مسألة عذاب القبر .

قال النووي :

وأما فقه الباب ففيه إثبات عذاب القبر ، وهو مذهب أهل الحق خلافا للمعتزلة .^١
وهذا الأصل في الإيمان بعذاب القبر ، قد دل عليه القرآن والسنة وتظاهرت الأدلة وتواترت من سنة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الدلالة على أن القبر والبرزخ يكون فيه عذاب ويكون فيه نعيم للإنسان المكلف ، على ما يحكم الله - عز وجل - به على الميت .
وأصل إيراد هذه المسألة في العقائد إنما جاء لأجل أن الخوارج والجهمية والفلاسفة وأهل الكلام ينكرون عذاب القبر .

ونظير ذلك ما أورده البرهاري في "شرح السنة" من ذكره لمسائل المسح على الخفين ؛ وذلك لأن الروافض لم تقل بها ، وذكره لمسألة الصلاة في السراويل رداً على من كرهها من الهادوية .

* الآيات الدالة على إثبات عذاب القبر :

قوله تعالى (وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) (الأنعام: الآية ٩٣)

فقال سبحانه (الْيَوْمَ) يعني يوم إخراج أنفسهم، أي يوم موتهم يجزون عذاب الهون .

قال ابن القيم :

فقول الملائكة «اليوم تجزون عذاب الهون» المراد به: عذاب البرزخ الذي أوله يوم القبض والموت.^٢

وقال تعالى في آل فرعون (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) (غافر: ٤٦) فقال: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا) . وذلك قبل قيام الساعة؛ فإنه تعالى قال بعدها (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ) .

قال ابن كثير :

هذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور .^٣

وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام : {بِمَا خَطِيبَاتِهِمْ أُعْرِفُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا} (نوح/)

^١ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٠٢/٣)

^٢ تفسير القرآن الكريم (ابن القيم) (ص/٣٧٦)

^٣ وقد نص على مثل ذلك الزمخشري ، وانظر تفسير القرآن العظيم (١٤٦/٧) والكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١٧٠/٤) واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (ص/٦٩)

فدل العطف بالفاء على أن دخولهم النار حصل عقيب إغراقهم ، وأنه قبل يوم القيامة .^٤
وهذه الأدلة القرآنية ربما تأولها المعارض ولم يرها دالة على إثبات عذاب القبر ؛ لكن كثرتها وظهور كلام
السلف فيها يدل على أنها في عذاب القبر والبرزخ .

وأما الأحاديث الدالة على عذاب القبر أحاديث متواترة ، وممن نص على تواترها :

أبو العباس ابن تيمية وابن القيم والطحاوي و ابن عبد البر وابن الملقن ، وقد ذكر الكتاني رواية
أحاديث عذاب القبر من الصحابة -رضى الله عنهم- فعد اثنين وثلاثين نفساً ، وسمى غيره
أسماء رواية الصحابة فعد تسعة وأربعين صحابياً .^٥

وقد يؤب أصحاب الصحاح في مصنفاتهم أبواباً في إثبات عذاب القبر ، كما هو فعل
البخارى ، قال : " باب ما جاء في عذاب القبر " ، وفي صحيح مسلم : " باب :
" إثبات عذاب القبر والتعود منه " .

قال ابن عبد البر : والآثار في عذاب القبر لا يحوط بها كتاب .^٦
وروى الشيخان عن البراء بن عازب -رضى الله عنه- عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:
{ يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } [إبراهيم: ٢٧] " قَالَ: " نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ .^٧
وورد في زيادة عند مسلم والنسائي :

يُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَبَيَّيْتُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدِينِي دِينُ مُحَمَّدٍ
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: { يُنَبِّئُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي
الْآخِرَةِ } [إبراهيم: ٢٧] " ^٨

* وَعَنْ عَائِشَةَ -رضى الله عنها- قَالَتْ:

دَخَلْتُ عَلَيَّ عَجُوزَانِ مِنْ عَجُزِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَتَا لِي:
إِنَّ أَهْلَ الْقُبُورِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ، فَكَذَّبْتُهُمَا، وَلَمْ أَنْعَمْ أَنْ أُصَدِّقَهُمَا، فَخَرَجْنَا ،
وَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ عَجُوزَيْنِ ،

^٤ شرح النووي للهراس (٤٧/١)

^٥ وانظر مجموع الفتاوى (٢٨٥/٤) والروح (ص/٥٢) والتفسير القيم (ص/٣٧٦) الإعلام بفوائد عمدة
الأحكام (٥١٦/١) والتمهيد (٢٤٧/٢٢) ولقط اللآلئ المتناثرة (ص/٢١٣) ونظم المنتاثر من الحديث
المتواتر (ص/١٢٦) وشرح الطحاوية (ص/٣٩٩) والصحيح المسند في عذاب القبر ونعيمه (ص/٩)
^٦ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٥١/٢٢)

^٧ متفق عليه . وانظر روائع التفسير (٥٩٠/١) والاستيعاب في بيان الأسباب (٣٩٠/٢)

^٨ أخرجه مسلم (٢٨٧١) والنسائي (٢٠٥٧) وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/١٧٢)

وَدَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ:

« صَدَقْتَا، إِنَّهُم يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا »^٩ ، فَمَا رَأَيْتُهُ بَعْدَ فِي صَلَاةٍ إِلَّا تَعَوَّدَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ .^{١٠}

في هذا الحديث دليل على أن عذاب القبر تعرفه اليهود ، وذلك - والله أعلم - في التوراة ؛ لأن مثل هذا لا يدرك بالرأي .

وعن مُصْعَبٍ قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَأْمُرُ بِخَمْسٍ ،

وَيَذْكُرُهُنَّ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِهِنَّ :

" اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّجْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أُرْدَلِ

الْعُمْرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا - يَعْنِي فِتْنَةَ الدَّجَالِ - وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ " .^{١١}

* وعن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

بَيْنَمَا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَائِطِ لِبْنِي النَّجَّارِ ، عَلَى بَعْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ

مَعَهُ ، إِذْ حَدَّثَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُثْقِيهِ ، وَإِذَا أَقْبُرُ سِتَّةً أَوْ خَمْسَةً أَوْ أَرْبَعَةً ، فَقَالَ :

« مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ ؟ » فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا ، قَالَ : فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ ؟ " قَالَ :

مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ ، فَقَالَ :

« إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا ، لَدَعَوْتُ اللَّهُ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ

عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ » ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ :

« تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ »^{١٢}

* وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ :

حَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جِنَاةٍ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَاثْنَيْتَيْنَا إِلَى

^٩ قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال بعضهم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلّت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين؛ كالإسماعيلية والنصيرية وسائر القرامطة: من بني عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام وغيرهما؛ فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى. والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة وأنهم من أولياء الله وإنما هو من هذا القبيل.

فقد قيل : إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل. (مجموع الفتاوى (٤/٢٨٧)

***قلت :**

المغل: هو وجع يصيب الدابة إذا أكلت التراب مع البقل، فيأخذها لذلك وجع في بطنها لسان العرب(١١/٦٢٦)

^{١٠} متفق عليه.

^{١١} رواه الشيخان.

^{١٢} رواه مسلم (٢٨٦٧) وأحمد (٢١٧٠١)

الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدُ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُثُ فِي الْأَرْضِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ :

" اسْتَعِيدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلَاثًا ، " ، ثُمَّ قَالَ :

" إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : " أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ، أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ " . قَالَ :

" فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةً عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةٍ مِنْكَ وَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ " قَالَ :

" فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلَا يَمُرُّونَ ، يَعْنِي بِهَا ، عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، إِلَّا قَالُوا :

مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ :

فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَقْبَحُونَ لَهُ ، فَيَفْتَحُ لَهُمْ فَيَشِيْعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عَلِيِّينَ ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أَعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى " . قَالَ :

" فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجَلِّسَانِهِ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ : رَبِّي اللَّهُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ : دِينِي الْإِسْلَامُ ، فَيَقُولَانِ لَهُ :

مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولَانِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ :

قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، فَأَمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ : أَنْ صَدَقَ عَبْدِي ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَالْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ " . قَالَ :

" فَيَأْتِيهِ مِنْ رُوحِهَا ، وَطَيِّبُهَا ، وَيُفَسِّحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ " . قَالَ :

" وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَنْبَشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ،

هَذَا يَوْمِكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجَّهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ،
فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ :

رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي ". قَالَ: " وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي
انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ
الْمُسُوحُ ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ النَّصْرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ،
فَيَقُولُ :

أَيُّهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَخْرِجِي إِلَى سَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَعَظْبٍ " ، قَالَ:
" فَتَفَرِّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُورِ، فَيَأْخُذُهَا،
فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تَلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ
مِنْهَا كَأَنَّ رِيحَ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى
مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ:

فَلَانُ بْنُ فُلَانٍ بَاقِبِحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمِّي بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ، فَلَا يُفْتَحُ لَهُ " ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
{ لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ }
[الأعراف: ٤٠]

فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : " اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سَجِينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ
طَرْحًا .

فَتَعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيَجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ ؟
فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ ؟

فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟
فَيَقُولُ: هَاهُ هَاهُ لَا أُدْرِي، فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ ،
وَأَفْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسُمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى
تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيْحِ ،
فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ:

مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجَّهَكَ الْوَجْهَ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فَيَقُولُ:

رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ . ١٣

وعن سعيد بن المسيب، قال: "صَلَّيْتُ وراءَ أَبِي هُرَيْرَةَ على صَبِيِّ لم يعملَ خَطِيئَةً قطُّ، سمعته يقول: "اللهمَّ أَعِدْهُ من عذابِ القبرِ". ١٤

*** الإجماع :**

قال أبو العباس ابن تيمية :

مذهب سائر المسلمين إثبات الثواب والعقاب في البرزخ - ما بين الموت إلى يوم القيامة - هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة؛ وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع. ١٥

وقال أبو الحسن الأشعري وهو يذكر ما خالف فيه المعتزلة وأهل القدر نهج أهل السنة :

وجحدوا عذاب القبر، وأن الكفار في قبورهم يعذبون، وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين. ١٦

وممن نقل هذا الإجماع :

ابن بطة العكبري والأصبهاني الملقب بقوام السنة والطحاوي والبربهاري وغيرهم خلق كثير . ١٧

*** مسألة :**

هل عذاب القبر يكون على الروح فقط ، أم على الروح والبدن ؟

١٣ أخرجه أبو داود (٤٧٥٣) وأحمد (١٨٥٣٤) وقد صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (ص/٧٥) وفي إعلام الموقعين (١/١٧٨) ، وقال راداً على تضعيف ابن حزم له :
" وأما قوله إن الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوى !! فهذا من مجازفته رحمة الله ، فالحديث صحيح لا شك فيه ، وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان ، منهم عدى بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد .هـ، (الروح/ص/٧٦)
وكذلك ممن صححه : ابن منده في الإيمان (رقم/١٠٦٤) وقال : هذا إسناد متصل مشهور، وصححه البيهقي في " إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين "(ص/٣٩) وقال : هذا حديث كبير صحيح الإسناد .
وقال الحاكم :

« هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، وفيه فوائد كثيرة لأهل السنة وقمع للمبتدعة ، ولم يخرجاه بطوله ، وله شواهد على شرطهما يستدل بها على صحته» ، ووافقه الذهبي (المستدرک/١/٣٧)

١٤ أخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (٩ / ٤) وفي "إثبات عذاب القبر" (رقم: ١٧٨) وابن أبي زمنين في "أصول السنة" (رقم: ٨٣) وقد روي مرفوعاً ، والموقوف أصح . وانظر سلسلة الآثار الصحيحة أو الصحيح المسند من أقوال الصحابة والتابعين (١/٢٧٠)

١٥ مجموع الفتاوى (٤/٢٦٢)

١٦ الإبانة عن أصول الديانة (ص/١٤)

١٧ وانظر الإبانة (ص/١٩٧) والحجة في بيان المحجة (٢/٢٨١) وشرح العقيدة الطحاوية (ص/٣٩٦)

قد ذهب ابن حزم إلى أن فتنة القبر وعذابه والمسألة إنما هي للروح فقط بعد فراقه للجسد ، فُبر أو لم يقبر ، وأن الروح لا تعاد إلى البدن عند السؤال ، فالسؤال إنما يقع للروح خاصة، وكذلك سماع الخطاب، وأنكر أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر للعذاب وغيره .^{١٨}
ومما استدل به على قوله هذا :

قوله تعالى { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا } [غافر: ١١]
فلو كانت الروح تُرد إلى الجسد في القبر ذلك للزم أن يموت الإنسان ثلاث مرات ويحيى ثلاث مرات، والقرآن دل على أنهما موتتان وحياتان فقط !!
* وكذلك فقد ذهب ابن حزم إلى القول بتضعيف حديث البراء الطويل ، فقال رحمه الله :

ولم يرو أحد أن في عذاب القبر رد الروح إلى الجسد إلا المنهال بن عمرو، وليس بالقوي .^{١٩}

*** وجواب ذلك :**

١- أما استدلاله بالأية فقد قال أجاب عن ذلك الحافظ ابن رجب فقال :
وهذا ضعيف جداً، فإن حياة البرزخ ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا وكالحياة الآخرة بعد البعث، وإنما فيها نوع اتصال الروح في البدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما، وليست هي حياة تامة حتى يكون انفصال الروح به موتاً تاماً، وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه، ورجوعها إليه، فإن ذلك يسمى موتاً وحياءً .

كما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول إذا استيقظ من منامه:

"الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور"

وسمَّاهُ اللهُ تَعَالَى وَفَاةً، لِقَوْلِهِ تَعَالَى { اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى }
[الرَّزْمِ: ٤٢]

^{١٨} وانظر الفصل (٦٦/٤)

^{١٩} المحلى (٢٢/١)

مع هذا فلا ينافي ذلك أن يكون النائم حياً ، وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها عنه لا يوجب أن يصير للميت حياة مطلقة .^{٢٠}
٢- أما تضعيفه لحديث البراء - رضى الله عنه- فقد رددنا عليه فى تخريج الحديث ، والذي سبق بيانه قريباً .
فالصحيح - والله أعلم - هو الذى عليه جمهور أهل السنة أن نعيم القبر وعذابه يحصل للروح والبدن .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً فيحصل له معها النعيم والعذاب .^{٢١}

*** وهذا الذى دلت عليه السنة :**

فَعَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ :
الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ ، وَتُوَلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ ،
قال : وَأَمَّا الْكَافِرُ - أَوْ الْمُنَافِقُ - فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي ، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ،
فَيَقَالُ :

لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً
يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ .^{٢٢}

وفى حديث البراء بن عازب - رضى الله عنه - قال :

خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي جِنَازَةٍ ، فَكَانَ مِمَّا ذَكَرَ :
وَإِنَّ الْكَافِرَ فَذَكَرَ مَوْتَهُ . وَقَالَ : وَتُعَادُ رُوحُهُ إِلَى جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ... ،
قَالَ : وَيُصَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ قَالَ : ثُمَّ يَقْبِضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكُمْ مَعَهُ
مِرْزَبَةً مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا قَالَ : فَيَضْرِبُهُ بِهَا .^{٢٣}
قال أبو العباس ابن تيمية :

^{٢٠} رواضع التفسير (١٠١/٢)

^{٢١} مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤)

^{٢٢} متفق عليه .

^{٢٣} سبق تخريجه .

فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد وباختلاف أضلاعه ، وهذا بيّن في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعين .^{٢٤}

* المخالفون لأهل السنة في عذاب القبر :

عذاب القبر حق ثابت وبهذا قال أهل السنة وأكثر الفرق الإسلامية، ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فعن ابن عباس -رضى الله عنهما - قال :

خطب عمر بن الخطاب فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يا أيها الناس ، ألا إنه سيأتي من بعدكم أقوام يكذبون بالرجم وبالذجال، وبعباب القبر، والشفاعة .^{٢٥}

قال ابن هانئ للإمام أحمد : وعذاب القبر ومنكر ونكير ؟

قال أبو عبد الله : نؤمن بهذا كله، ومن أنكروا واحدة من هذه، فهو جهمي.^{٢٦}

وقال المروزي قال : لنا أبو عبد الله عذاب القبر حق ، ما ينكره إلا ضال مضل.^{٢٧}

قال الأجري :

ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث ، لقد ضل ضلالاً بعيداً، وخسر خسراناً مبيناً^{٢٨}.

وقد خالف في ذلك الخوارج وضرار بن عمرو وبشر المريسي وجماعة من متأخري

المعتزلة ، فقالوا بنفى عذاب القبر ؛ وذلك بناءً على قولهم أن الروح لا تبقى بعد

فراق البدن ، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب .^{٢٩}

قال ابن حزم :

"ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر ، وهو

قول من لقينا من الخوارج، وذهب أهل السنة وبشر بن المعتمر والجبائي وسائر

^{٢٤} مجموع الفتاوى (٢٨٩/٤)

^{٢٥} السنة للمروزي (ص/٩٨)

^{٢٦} وانظر مسائل ابن هانئ (١٨٧٩)

^{٢٧} طبقات الحنابلة (١/٦٢)

^{٢٨} الشريعة (١٨٦/٢)

^{٢٩} وانظر مقالات الإسلاميين (١١٦/٢) ودراسات في الفرق الإسلامية (ص/١٧٣)

المعتزلة إلى القول به، وبه نقول لصحة الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك".^{٣٠}

*** نقول :**

والمخالفون الذين خالفوا أهل السنة في هذا الأصل فنقوا القول بإثبات عذاب القبر قد جاء فساد تأصيلهم في أنهم قد حكّموا العقل وردوا عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فقاوسوا الأمور الغيبية على الأمور المشاهدة، وحكّموا العقل فيما جاءت به النصوص في أن هذا يُعقل ، وأن هذا لا يُعقل .

فتراهم لا يؤمنون بما يحدث في القبر؛ لأنهم عقلايون ، فيسمّون أدلة الشرع ظنية، فأما أدلة العقل عندهم فهي يقينية ، وهم في ذلك قد نسوا أو قل تناسوا أن عذاب القبر وفتنة القبر أمر غيبي، والأمور الغيبية مجالها الاعتقاد؛ لأنها لا تدرك بالنظائر ولا تدركها العقول؛ بل تحار فيها العقول، فيجب الإيمان بما والتسليم على نحو ما جاء في الخبر الصادق في الوحي.

*** ومن شبهاتهم النفاة :**

قالوا :

إننا نرى شخص الميت مشاهدة وهو غير معذب ، وكذلك فإن الميت ربما تفتسه السباع وتأكله!!

وجوابه :

أن هذا هوس؛ أما مشاهدة الشخص فهو مشاهدة لظواهر الجسم ، والمدرك للعقاب جزء من القلب أو

^{٣٠} وانظر الفصل في الملل والنحل والأهواء (٦٦/٤)

*** تنبيه مهم :**

وقد نسب أبو الحسن الأشعري في المقالات (١١٦/٢) نفي عذاب القبر إلى المعتزلة والخوارج، كما نسبه البغدادي في أصول الدين (ص/٢٤٥) إلى الجهمية والضرارية، ونسب الملطي في التنبيه والرد على أهل الأهواء (ص/١٢٤) إلى جهم بن صفوان إنكار عذاب القبر ومنكر ونكير. والأرجح بالنسبة للمعتزلة أن جمهورهم على القول بعذاب القبر ، كما حكى ذلك عنهم القاضي عبد الجبار في كتابه "شرح الأصول الخمسة" (ص/٧٣٠) ، فقد ذكر :

" فصل في عذاب القبر " وقال بأنه لاخلاف في ذلك بين الأمة ، كما أنه قد بيّن أن ابن الراوندي هو الذي يشنع على المعتزلة ، ويدّعى أنهم ينكرون عذاب القبر ، ثم أورد الأدلة على إثباته من القرآن والسنة . وقال في كتابه "الاعتزال وطبقات المعتزلة" (ص/١٦٧) ما نصه :

" إنما أنكر ذلك أولاً: ضرار بن عمرو ، لما كان من أصحاب واصل ظن ذلك مما أنكرته المعتزلة وليس الأمر كذلك، بل أكثر شيوخننا يقطعون بعذاب القبر ، وإنما ينكرون قول جماعة سنن الجهلة إنهم يعذبون وهم موتى، ودليل العقل يمنع من ذلك .١.هـ

وكذلك فقد قال الزمخشري عن سورة الملك :

" وتسمى: الواقعة، والمنجية، لأنها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر " .

وانظر الكشاف (٥٧٤/٤) و الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٧١٢/٣) تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف .

من الباطن كيف كان ، وليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن، بل الناظر إلى ظاهر النائم لا يشاهد ما يدركه النائم من اللذة عند الاحتلام ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره، ولو انتبه النائم وأخبر عن مشاهداته وآلامه ولذاته من لم يجز له عهد بالنوم لبادر إلى الإنكار اغتراراً بسكون ظاهر جسمه .

فتعسأ لمن ضاقت حوصلته عن تقدير اتساع القدرة لهذه الأمور المستحقة بالاضافة إلى خلق السموات والأرض وما بينهما، مع ما فيهما من العجائب.^{٣١}

* ثم يقال لمن يشكك بعدم تحقق رؤية عذاب القبر بالبصر :

أن الله - عزوجل - يتلى عباده بالتكاليف الشرعية اختباراً وامتحاناً لهم ، وهذه التكاليف شاملة لباب العلم والعمل :

(أ) ففي باب العمل :

يكلفهم بجملة من العبادات الشرعية ، والتي منها ما يكون غير معلوم الحكمة ، فيجمع لهم بين التكليف بالاستسلام وتكليف القيام بالعمل .

(ب) وفي باب العلم :

يختبر الله - تعالى - عباده بالإيمان بالغيبات التي تتألت النصوص بإثباتها ، فيظهر هنا من يؤمن بالغيب ممن هو منه في شك ، إذ لو عاين العباد الغيبات لزال حكمة التكليف والإيمان بالغيب ، ومن هذا الباب فقد اقتضت الحكمة أن يكون عذاب القبر خفياً ؛ لأنه لو كان أمراً ظاهراً لما كان الإيمان به إيمان بالغيب ، والإيمان النافع المنجي إنما هو الإيمان بالغيب.

لذا فقد كان أول ما مدح الله تعالى - به أهل الإيمان في كتابه أنهم يؤمنون بالغيب ، فقد قال تعالى (ألم

(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)) (البقرة : ١-٣)

* وأضف الي ذلك أنه قد اقتضت حكمة الله - تعالى - أن لا يكون عذاب القبر ظاهراً ، إذ لو كان ظاهراً لما تدافن الناس، كما قال صلى الله عليه وسلم:

"إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع

^{٣١} الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (١١٨)

منه " . ٣٢

*** وأما قولهم بعدم حلوث عذاب القبر لمن أكله سبع أو حرق !!**

فجوابه :

فذكر العذاب والحاقه بالقبر إنما خرج على الغالب فلا مفهوم له ؛ فالمصلوب والمحروق والغريق ومن أكلته السباع لهم من عذاب البرزخ ونعيمه بحسب ما تقتضيه أعمالهم، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما .

وإلا فيسقال من باب الإلزام بعدم بعث من أكلته السباع أو حرق ، ومثل هذا مما لم يقل به نفاة القول بعذاب القبر ، فكما قيل في قوله تعالى (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)) أنه خرج على الغالب ، مع إثبات البعث لمن لم يكن له مرقد ، كالمحروق ومن أكلته السباع ، فكذا يقال بإثبات عذاب القبر ونعيمه لمن لم يُقبر . ٣٣

قال ابن القيم :

ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه ، نُقِرَ أو لم يُقبر ، فلو أكلته السباع أو أُحرق حتى صار رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور . ٣٤

*** ويلخص ما سبق كلام بديع للسمعاني ، حيث قال هو لما ذكر أمور الغيب من عذاب القبر**

وسؤال الملكين والحوض والميزان والصراف ، قال رحمه الله:

وهذه أمور لا ندرك حقائقها بعقولنا ، وإنما ورد الأمر بقبولها والإيمان بها ،

فإذا سمعنا شيئاً من أمور الدين وعقلناه وفهمناه فله الحمد في ذلك والشكر ، ومنه التوفيق ، وما لم يمكننا إدراكه وفهمه ولم تبلغه عقولنا آمنا به وصدقنا واعتقدنا أن هذا من قبل ربوبيته وقدرته ، واكتفينا في ذلك بعلمه ومشيبته ، وقال تعالى في مثل هذا ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ

٣٢ أخرجه مسلم (٧١٤٢)

٣٣ وقد ورد في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:

" كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَي نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِنَبِيِّهِ:

إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اطْحَنُونِي ، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ ، فَوَاللَّهِ لَئِن قَدَرَ عَلَي رَبِّي لِيُعَذِّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ ، فَفَعَلَتْ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَي مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ: يَا رَبِّ حَشِينَتُكَ ، فَعَفَّرَ لَهُ " (متفق عليه) .

٣٤ الروح (ص/٥٨)

من العلم إلا قليلاً { ٣٥ .

*** تنبيه وتصحيح :**

قد ذهب بعض المعتزلة إلى أن الله - سبحانه - يعذب الموتى في قبورهم ، ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، وقالوا بأن سبيل المعدبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام ، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب .^{٣٦}

* وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على ذلك ، وبين أن الأمر على خلاف ذلك ، فقال رحمه الله :

ولا يجوز أن يقال ذلك الذي يجده الميت من النعيم والعذاب مثلما يجده النائم في منامه؛ بل ذلك النعيم والعذاب أكمل وأبلغ وأتم. وهو نعيم حقيقي وعذاب حقيقي ، ولكن يذكر هذا المثل لبيان إمكان ذلك إذا قال السائل: الميت لا يتحرك في قبره والتراب لا يتغير ، ونحو ذلك .

مع أن هذه المسألة لها بسط يطول وشرح لا تحتمله هذه الورقة والله أعلم.^{٣٧}

*** إثبات عذاب القبر عند الأشاعرة :**

على الرغم من أن عذاب القبر عند الأشاعرة يعد من باب السمعيات ، ومع ذلك تراهم يعلقون القول به على عدم استحالة العقل لقبوله ، ثم يجعلون الأدلة السمعية تبعاً لذلك القبول العقلي .

يقول الباقلاني :

« ويجب أن يعلم كل ما ورد به الشرع من عذاب القبر، وسؤال منكر ونكير ، ونصب الصراط، والميزان، والحوض، والشفاعة للعصاة من المؤمنين ، كل ذلك حقٌّ وصدقٌ، ويجب الإيمان به، والقطع به؛ لأن جميع ذلك غير مستحيل في العقل» .^{٣٨}

وقد نص على مثل ذلك : الآمدى واللقاني .^{٣٩}

قال سفر الحوالي :

فالقوم كما ترى ملتزمون بتقديم العقل وحكمه بالإمكان وعدم الاستحالة ، ثم يوردون الأدلة السمعية مؤيدةً وظهيرةً، ومع هذا فالباب عندهم هو باب (السمعيات)!!^{٤٠}

^{٣٥} الانتصار لأصحاب الحديث(ص/٨٢)

^{٣٦} الروح(ص/٥٨)

^{٣٧} مجموع الفتاوى (٢٧٦/٤)

^{٣٨} الإنصاف (ص/٥١)

^{٣٩} هداية المرید (ص/١٥٩) وغاية المرام (ص/٣٠١).

^{٤٠} منهج الأشاعرة في العقيدة (ص/٥٩)

وقد نقض شيخ الإسلام ابن تيمية هذا التأسيس من أصله ، فقال رحمه الله :
ومن قال: أنا أثبت من السمعيات ما لم يخالفه العقل لم يكن لقوله ضابطٌ ، فإنه تصديق بالسمع
مشروطاً بعدم جنسٍ لا ضابط له ولا منتهى، وما كان مشروطاً بعدم ما لا ينضبط لم ينضبط ، فلا يبقى
مع هذا الأصل إيمان .^{٤١}

والمعنى :

أن عدم مخالفة العقل أمرٌ غير منضبط ، فالعقول تختلف، وأوجه المخالفة تختلف، فإذا علقنا التصديق
بثبوت شيء عليها، فقد علقناه على أمرٍ غير منضبط.

وقال رحمه الله :

لا يجوز أن يخبر الرسل بشيء يعلم بالعقل الصريح امتناعه ، بل لا يجوز أن يخبروا بما لا يعلم بالعقل ثبوته
فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول ، ويجوز أن يكون في بعض ما يخبرون به ما يعجز عقل
بعض الناس عن فهمه وتصوره ؛ فإن العقول متفاوتة .^{٤٢}

الحاصل أن الأصل في تعامل الأشاعرة مع النصوص الشرعية ، وتقسيمها إلى (إلهيات ، سمعيات ،
نبوات) إنما يعود في الحقيقة على مدى موافقتها للعقل لمن عدمه ، على طريقة :

" وما آتاكم العقل فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا " ، فيزعمون أن ما خالف العقل فليس بمقبول ، ولو
جاء به كل منقول !!!

وفي حقيقة الأمر أنهم إنما يردُّون ما خالف الرأي ، لا ما خالف العقل ؛ فإنه ما ورد نص قرآني ، ولا
حديث نبوي صحيح إلا وهو يوافق العقل ، علِّمه من علِّمه وجهله من جهله.

*** عود إلى حديث الباب :**

قوله صلى الله عليه وسلم : « إِنْهُمَا لِيُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ... »

وقوله : " وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ... " فيه وجهان :

أحدهما :

أن هذا ليس من الكبائر ، فيكون المعنى التحذير من الكبائر ؛ لأنه إذا وقع العذاب في القبر على ما
ليس من الكبائر فكيف بالكبائر؟ !

^{٤١} درء تعارض العقل والنقل (١/ ١٧٧)

^{٤٢} بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٣٣)

والثاني:

أنه ليس المراد أن هذا ليس بكبير في باب الدين ، بل هو كبير في الذنوب وإن كان صغيراً عندكم ، ولكنه كبير عند الله تعالى ، كما في قوله تعالى: { وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّبًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ } (النور آية: ١٥) ، وليس بكبير على فاعله أن يحتز منه ، إذ لا مشقة في الاحتراز عن البول والنميمة ولا تنزه عنهما ، وليس ذلك بالعسير على تاركه .

ومما يؤيد هذا التوجيه :

" لفظ البخارى : " يُعَذَّبَانِ ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ، وَإِنَّهُ لَكَبِيرٌ " .^{٤٣}

وهذا الذى مال إليه البخاري ، حيث روى حديث الباب في كتاب الأدب في باب: " النميمة من الكبائر " .

* وعلى التأويل يكون الحديث أحد الأدلة التى تدحض منهج المرجئة و الخوارج :
(أ) أما المرجئة :

فالمرجئة هم المنسوبون إلى الإرجاء لتأخيرهم الأعمال عن الإيمان ، حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وعندهم أن الأعمال ليست داخلية في مسمى الإيمان ، وأن الإيمان لا يتبعض ، وأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان غير معرض للوعيد، ومذهبهم باطل ترده أدلة الكتاب والسنة .
وحديث الباب حجة عليهم ؛ لأنه أبان وقوع العذاب عليهما على فعلهما للكبيرة ، رغم وجود أصل الإيمان .

(ب) وأما الخوارج :

فهم الوعيدية القائلون بإنفاذ الوعيد ، وأن مرتكب الكبيرة إذا مات ولم يتب منها فهو خالد مخلد في النار .

ففى حديث الباب رد على تكفيرهم بالكبيرة ؛ ووجه الشاهد أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قد قال لما عَزَرَ فِي كُلِّ قَبْرِ جَرِيدَةٍ: « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسَسَا » ، "وقال صلى الله عليه وسلم: " فأحببت بشفاعتي أن يرفع ذلك عنهما ما دام القضيبان رطبين "^{٤٤}

^{٤٣} رواه البخاري (٦٠٥٥)

^{٤٤} أخرجه مسلم (٣٠١٢)

* **وجه الدلالة :**

أنه لو كان فاعل الكبيرة كافراً لما جازت له الشفاعة ، فالآيات في نفى الشفاعة عن الكافرين قد تتألت
تترا في كتاب الله تعالى .

* **عود إلى حديث الباب :**

قول الروي : " **مِمَّ أَخَذَ سَجِيْدَةَ رَطْبَةٍ، فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرِ وَاحِدَةٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ
فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ : «لَعَلَّهُ يَخْفُفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْسِيسَا»**

قد استدل بعض الحنفية بفعل النبي -صلى الله عليه وسلم - حين غرز الجريد في قبري الرجلين على
مشروعية هذا الفعل ، وأنه يندب زرع الشجر والزرع على المقابر ؛ لكونهما يسبحان ما داما رطبين ،
وهذا مذهب كثيرين أو الأكثرين من المفسرين في قوله تعالى (وإن من شئ الا يسبح بحمده) ،
قالوا معناه : وإن من شئ حي ، ثم قالوا حياة كل شئ بحسبه.^{٤٥}
قال ابن عابدين :

ويؤخذ من الحديث ندب وضع ذلك للاتباع ، ويقاس عليه ما اعتيد في زماننا من وضع أغصان الآس
ونحوه .^{٤٦} وقد نقل السيوطي عن من لم يسمه ما نصه :
" هذا الحديث أصل في غرس الأشجار عند القبور"^{٤٧}
والراجح -والله أعلم- أن التخفيف عن القبرين إنما حصل ببركة يده الشريفة - صلى الله عليه وسلم -
وشفاعته لهما .

* **يدل عليه :**

ما ورد في حديث جابر -رضي الله عنه- أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال له :
«فَانْطَلِقْ إِلَى الشَّجَرَتَيْنِ فَاقْطَعْ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، فَأَقْبِلْ بِهِمَا، قَالَ جَابِرٌ:
فَأَتَيْتُ الشَّجَرَتَيْنِ فَقَطَعْتُ مِنْ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا غُصْنًا، ثُمَّ أَقْبَلْتُ فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ فَعَمَّ
ذَاكَ؟

قَالَ: «إِنِّي مَرَرْتُ بِقَبْرَيْنِ يُعَدَّانِ، فَأَحْبَبْتُ بِشَفَاعَتِي، أَنْ يُرْفَهَ عَنْهُمَا، مَا دَامَ الْغُصْنَانِ رَطْبَيْنِ» .^{٤٨}

^{٤٥} المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (٢٠٢/٣)

^{٤٦} رد المحتار على الدر المختار (٢٤٥/٢)

^{٤٧} شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (ص/٣٠٥)

^{٤٨} أخرجه مسلم (٣٠١٢) ومعنى (أن يرفه عنهما): أي يخفف.

فقوله صلى الله عليه وسلم : " فَأَحْبَبْتُ، بِشَفَاعَتِي أَنْ يُرْفَهَ عَنْهُمَا " :

قد دل على أن ذلك مداره على الخصوصية ، لحصول شفاعته النبي -صلى الله عليه وسلم- بذات فعله .

*قد دل ذلك على أن الحكمة من وضع الجريد وإن لم تظهر في حديث الباب فقد وردت في حديث جابر رضى الله عنه ، لأن الظاهر أن القصة واحدة ، كما رجح ذلك القرطبي والنوى .^{٤٩}
حتى ولو قيل بأن الواقعتين مختلفتان ، في حديثي ابن عباس وجابر رضى الله عنهم ، كما مال إلى ذلك ابن حجر ، فإن خير ما يفسر به الحديث هو الحديث ، فقد ورد في حديث جابر -رضى الله عنه- بيان الحكمة من فعله بغرز الجريد على القبرين ، وهى أن حصول التخفيف عن المعذبين إنما حصل شفاعته النبي -صلى الله عليه وسلم ما دام الغصنان رطبين .

قال القاضى عياض :

وقوله عليه السلام : " فأحبيت بشفاعتي أن يرفه عنهما ما دام الغصنان رطبين " يفسر مشكل قوله في الحديث الآخر : " لعله يخفف عنهما ما لم يببسا " ، وأن ذلك بدعوته لهما بذلك ، فإن كانت القصة واحدة -أى في حديثي ابن عباس وجابر- فقد بين أنه صلى الله عليه وسلم دعا لهما وشفع ، وإن كانت قصة أخرى فيكون المعنى فيهما واحداً ، والله أعلم .^{٥٠}

قال الخطابي :

وأما غرسه - صلى الله عليه وسلم - شق العسيب على القبر وقوله : (ولعله يخفف عنهما ما لم يببسا) فإنه من ناحية التبرك بأثر النبي -صلى الله عليه وسلم- ودعائه بالتخفيف عنهما ، وكأنه - صلى الله عليه وسلم - جعل مدة بقاء النداءة فيهما حداً لما وقعت به المسألة من تخفيف العذاب عنها ، وليس ذلك من أجل أن في الجريد الرطب معنى ليس في اليابس ، والعامية في كثير من البلدان تفرش الخوص في قبور موتاهم وأراهم ذهبوا إلى هذا وليس لما تعاطوه من ذلك وجه ، والله أعلم .^{٥١}

^{٤٩} المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٥٥٣)

^{٥٠} إكمال المعلم بفوائد مسلم (٢/١٢٠) و(٨/٥٧٠)

^{٥١} معالم السنن (١/١٩)

قال الشيخ أحمد محمد شاكر معقّباً على كلام الخطابي :

وصدق الخطابي وقد ازداد العامة إصراراً على هذا العمل الذي لا أصل له ، وغلوا فيه خصوصاً في بلاد مصر تقليداً للنصارى ، حتى صاروا يضعون الزهور على القبور ويتهادونها بينهم ، فيضعها الناس على قبور أقاربهم ومعارفهم تحيةً لهم ومجاملةً للأحياء ، وحتى صارت عادة شبيهة بالرسمية في المجاملات الدولية ، فتجد الكبراء من المسلمين إذا نزلوا بلدةً من بلاد أوروبا ذهبوا إلى قبور عظمائها أو إلى قبر من يسمونه الجندي المجهول وضعوا عليها الزهور . =

وقال ابن الحاج:

فالجواب عن قوله عليه الصلاة والسلام (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) راجع إلى بركة ما وقع من لمسه عليه الصلاة والسلام لتلك الجريدة ، وقد نص على ذلك الإمام الطرطوشي رحمه الله في كتاب " سراج الملوك " له، لما ذكر هذا الحديث فقال عقبه:
وذلك لبركة يده عليه الصلاة والسلام .

وما نقل عن واحد من الصحابة فلم يصحبه عمل باقيهم رضي الله عنهم ؛ إذ لو فهموا ذلك لبادروا بأجمعهم إليه ، ولكن يقتضي أن يكون الدفن في البساتين مستحباً .^{٥٢}

***وكذا يقال :**

أن فعل النبي - عليه الصلاة والسلام - بغرزه للجريد على القبرين قد انبنى على علم منه بوحي أن صاحبيهما يعذبان ، فيقال لمن فعل مثل هذا الفعل بغرز الجريد أو زرعه على القبر ، هل أنت على علم بوقوع العذاب على صاحب القبر !!؟
وقد أورد ابن حجر رداً على هذا الجواب فقال :
لا يلزم من كوننا لا نعلم أيعذب أم لا أن لا نتسبب له في أمر يخفف عنه العذاب أن لو عذب ، كما لا يمنع كوننا لا ندري أرحم أم لا أن لا ندعو له بالرحمة .^{٥٣}
ولكن يناقش هذا :

بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يفعل ذلك إلا في قبور مخصوصة قد أطلعها الله - تعالى - على تعذيب أهلها ، ولو كان ذلك مشروعاً لفعله في كل القبور ، فلما لم يفعل ذلك إلا في قبور علم تعذيب أهلها دل ذلك على أن سائر القبور ليس لها ذلك الحكم .^{٥٤}

***فإن قيل :**

قد ذكر البخاري تحت باب الجريد على القبر (٩٥/٢) :

= وبعضهم يضع الزهور الصناعية التي لا نداوة فيها تقليداً للإفرنج واتباعاً لسنن من قبلهم ، ولا ينكر ذلك عليهم العلماء أشباه العامة بل تراهم أنفسهم يصنعون ذلك في قبور موتاهم . ولقد علمت أن أكثر الأوقاف التي تسمى أوقافاً خيرية موقوف ريعها على الخوص والريحان الذي يوضع في القبور .
وكل هذه بدع ومنكرات لا أصل لها في الدين ولا مستند لها من الكتاب والسنة ، ويجب على أهل العلم أن ينكروها وأن يبطلوا هذه العادات ما استطاعوا .
ذكره الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على سنن الترمذي (١/ ١٠٣) ، وانظر قواعد وأسس في السنة والبدعة (حسام الدين بن موسى محمد بن عفانة/ص ١٧٣)).

^{٥٢} المدخل (٣/ ٢٩٤)

^{٥٣} فتح الباري (١/ ٣٢٠)

^{٥٤} وانظر تعليق ابن باز على الفتح (١/ ٣٢٠) وأحكام المقابر في الشريعة الإسلامية (ص/ ١٦٩)

" وأوصى بريدة الأسلمي أن يجعل في قبره جريدان " °°
*** فجوابه :**

أن هذا الفعل ورد على خلاف ما فهمه عامة الصحابة -رضى الله عنهم- والسلف الصالح ، إذ أنهم لو فهموا من النص العموم لعملوا بمقتضاه، ولوضعوا الجريد على القبور . ولو أنهم فعلوا ذلك لاشتهر ذلك عنهم، ثم نقله الثقات إلينا.
قال ابن الحاج:

وما نقل عن واحد من الصحابة فلم يصحبه عمل باقيهم رضي الله عنهم ؛ إذ لو فهموا ذلك لبادروا بأجمعهم إليه ، ولكان يقتضي أن يكون الدفن في البساتين مستحباً . °٦

وأما فعل بريدة رضي الله عنه :

فيحتمل أن يكون أمر أن يجعل في داخل القبر لما في النخلة من البركة ؛ لقوله تعالى (كشجرة طيبة)
ويحتمل أنه فعله من باب الاقتداء بالنبي - صلى الله عليه وسلم- في وضعه الجريدتين على القبر .

ومما يؤيد الأول :

أنه أوصى أن يوضع " في قبره " ، وهي رواية الأكثرين . °٧
*** تنبيه :**

قد انبنى على القول بأن وضع الجريد إنما كان لتسيحه حال رطوبته القول باستحباب تلاوة القرآن عند القبر ؛ لأنه إذا كان يرجى التخفيف بتسبيح الجريد ، فتلاوة القرآن من باب أولى !! °٨

والراجح -والله أعلم- المنع من ذلك ، وهو مذهب المالكية وقول أبي حنيفة ، وهي أصح الروايتين عن أحمد ، واختيار أبي العباس ابن تيمية . °٩

°° أخرجه البخاري معلقاً في الجنائز باب الجريد على القبر (٤٠٤/١) ووصله ابن سعد في الطبقات (٢٨٢٦) وإسناده صحيح ، وانظر تعليق التعليق على صحيح البخاري (٤٩٢/٢).

°٦ المدخل (٢٩٤ /٣)

°٧ وانظر فتح الباري (٢٢٣/٢) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٨٢/٨)

°٨ **وممن نقل ذلك :**

النووي والخطابي وابن دقيق العيد . وانظر شرح النووي على مسلم (٢٠٣/٣) وأعلام الحديث (٢٧٤/١) وإحكام الأحكام (١٠٩/١) وبشرى الكريم بشرح مسائل التعليم شرح المقدمة الحضرمية (ص/٤٧٤)

°٩ قد نقل المروزي الرواية الصحيحة عن أحمد ، أنه قال: القراءة عند القبر بدعة، وقال ابن هانئ:

سألت أبا عبد الله عن القراءة على القبر؟

قال: القراءة على القبر بدعة . هذه هي الروايات الصحيحة عن الإمام أحمد، وحكاية رجوعه عنها المروية في كتاب "الروح" ص ١٣ لابن القيم، عن الخلال لا تصح، ففيها مجاهيل..

وانظر "مسائل ابن هانئ" (٩٤٦) والروايتين والوجهين (٢١٢/١) والفروع (٣٠٥ /٢) وأحكام الجنائز وبدعها" (ص/ ١٩٢) =

*ويدل هلى المنع عدة أمور :

١- قد ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان عليه الصلاة والسلام بعد الدفن يقف ويقول:

«استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت، فإنه الآن يسأل».

ولو كانت القراءة عند القبر خيراً وشرعاً لأمر بها النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى تعلم الأمة ذلك.

٢- كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يزور القبور ، ويدعو للأموات بأدعية علمها أصحابه رضى الله عنه ، وتعلموها منه ، من ذلك :
(السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية) .

ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قرأ سورة من القرآن أو آيات منه للأموات مع كثرة زيارته لقبورهم ، ولو كان ذلك مشروعاً لفعله ، وبينه لأصحابه ؛ رغبة في الثواب ، ورحمةً بالأمة ، وأداءً لواجب البلاغ ، فإنه كما وصفه تعالى بقوله :
(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) (التوبة/١٢٨).

فعدم الفعل مع وجود المقتضى وانتفاء الموانع فيه دلالة على عدم المشروعية .^{٦٠}

٣- روى أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال:

"لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ليفر من البيت يقرأ فيه البقرة"
فلولا أن المقبرة لا يقرأ فيها لم يشبه البيت الذي لا يقرأ فيه بالمقبرة.

قال أبو العباس ابن تيمية :

نقل الجماعة عن أحمد كراهة القرآن على القبور ، وهو قول جمهور السلف ، ولم يقل أحد من العلماء المعتبرين: إن القراءة عند القبر أفضل ، واتخاذ المصاحف عند القبر بدعة ، ولو للقراءة ولو نفع الميت لفعله السلف .^{٦١}

تم بحمد الله .

=وأما شيخ الإسلام ابن تيمية فيفرق بين القراءة حين الدفن ، والقراءة الراجعة بعد الدفن ، فيقول أن هذه الأخيرة بدعة ، لا يعرف لها أصل. مجموع الفتاوى (٣١٧/٢٤)

^{٦٠} مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين(١٧/٢١٨-٢١٩)

^{٦١} الفتاوى الكبرى (٣٦٢/٥)